الكاكائية

Les Kâkâïs.

١ — من هم ؟

الكاكائية طائفة خفية المعتقد والمذهب ؛ مبثوثة في كركوك واعمالها ولهذا لم يذكر وجودهم احد من الكتبة والمؤرخين لانهم يخفون رأيهم الديني على كل انسان ويتظاهرون بالاسلام في موضع يكون اكثر سكانه مسلمين ، ويتظاهرون بالنصرانية في المواطن التي يكثر فيها المسيحيون .

٢ — اسرار معتقدهم

لا يبيحون باسرارهم لاحد . والذي عرفته من رجل زارني في شهر حزيران من سنة ١٨٩٦ وصلاً الى النصرانية انهم لا يعتقدون (بنبوة ابن عبدالله) . هكذا نطق باسم النبي الحنيف (سعو بن جو) . وهو الذي توفي في قرية واقعة على الزاب الاكبر قبل نحو سبع سنوات ، وكان قد وقف على حقائق كثيرة من الاديان الشهيرة في شمالي العراق لمخالطته بعض الناس المتأدبين منذ صغر سنه . قال : ولا يعتقد اجدادي بالصحابة ولا بائمة المسلمين من اقدمين ومحدثين . — ثم عدد لي اسماء بعض الصحابة والائمة واصحاب المذاهب الاربعة ولا حاجة الى سردها . كما انهم لا يؤمنون بالقرآن ولا ياخذون بشيء من الحديث والخبر وان كانوا يطوون ايامهم بين ظهراني اصحاب الدين الحنيف .

وهم يعتقدون ان الاله واحد إلّا انه يظهر في ثلاثة مظاهر : كبير ووسط وصغير فهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة . وان الروح القدس خلق مريم العذراء (كذا) بواسطة جبريل (كذا) وتحت هؤلاء الثلاثة اربعة وزراء ولكل وزير سطوة أو سلطة خاصة به ولاولئك الوزراء الاربعة مسيطرون وعددهم سبعة . ولهؤلاء المسيطرين السبعة منفذون لاحكامهم وعددهم اثنا عشر وقد اتفقوا جميعا على ان يرسلوا الى العالم الادنى رجلا زودوه بجميع القوى العقلية والجسدية وهو موسى . وهم يعظمونه اشد التعظيم ويحلفون به ويضعونه فوق جميع الانبياء ويعتقدون بانه المسيح (كذا بهذا الخبط والخلط) .

٣ — الحلال والحرام عندهم وبعض من قرباتهم

يحرمون اشياء عديدة كما يحرمها النصارى ولا سيما ما املاه الضمير على صاحبه ويبيحون شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ولا يحرمون على المرء ما استطابه ذوقه أو قبلته معدته .

وهم يصومون اربعين يوما ينقطعون فيها عن اكل اللحم ولهم ما عدا ذلك ثلاثة ايام صوم في اوان الشتاء . وبعد ثلاثة ايام من صومهم يذبحون دجاجة بيضاء وبعد ان يسلقوها احسن سلق يقلونها في السمن (الدهن) ويأكلونها مع خبز رقاق (وهو خبز مستدير دقيق يفتحون عجينته بشويك) ويكون دقيقه من اخلص الحنطة وابيض اللون . ولا يجسرون على ان يأكلوا منه إلّا من بعد ان يصلي عليه رئيسهم الروحاني الديني ويوزعه هو بيده عليهم ولا تحضر النساء حين هذا التوزيع ولا يفرق الرئيس بين كبير وصغير بين خادم ومخدوم ويسمون هذه الحفلة بكلمة عربية هي « اللقمة »

ومن اعمالهم الدينية : الاعتراف فهم يقرون بذنوبهم وبكل ما ارتكبوه بتذلل وخشوع ويقرعون صدورهم ويكونون بين يدي رئيسهم الديني كالمجرم بين يدي الحاكم عليه بالعقاب ويفرض عليهم ما يفون بعقوبتهم .

وعندهم صلوات خاصة تعرف عندهم باسم عربي ايضا وهو (تضرعات) يبتهلون بها الى الله فيرفعون رؤوسهم الى السماء ويبسطون أكفهم اليها ناظرين اليها نظرهم الى رجل اهانوه ويستمنون منه العفو والصفح .

وهم لا يتجهون الى (القبلة) وليس لهم صلوات خمس كما لا يعرفون (الاذان) ولا يتوضأون قبل صلاتهم .

وهم يحبون النصارى كل الحب ولا يكرهون اليهود . ولا يودون التقرب من المسلمين لكنهم يخافون بطشهم فيعاملونهم بالحسنى حفظا لحياتهم وتدبيرا لشؤونهم . وهم لا يزوجون بناتهم المسلمين وان كان بعض المسلمين يزوجون بناتهم رجالهم . ويوم الزفاف عندهم من اهم ايام حياتهم ويقيمون افراحا لا يقيمون مثلها في اي فرصة كانت ، ورقصهم واغانيهم وملاهيهم على ابسط ما يكون .

٤ — لسانهم

لسانهم هو لسان اهل البلاد التي يكونون فيها فالذين يسكنون كركوك يتكلمون بالتركية وفي ديار الكرد : الكردية وفي ربوع العرب : العربية : إلّا ان لهم لسانا خاصا بهم لا يعرفه غيرهم ولا يتكلمون به بين يدي من يجهله وهو كلسان العصافير (١) ويستعملونه لحفظ اسرارهم من الفشو .

٥ — اسماؤهم

عند جميع الاكراد المنتشرين في الموصل وكركوك وسليمانية وتلك الارجاء اسماء مصوغة صيغة خاصة بهم غير معروفة في غير تلك الانحاء . وقولي « جميع الاكراد » يشمل جميعهم . مهما كان دينهم ومذهبهم . حتى ان تلك الصيغة معروفة عند المسلمين والنصارى انفسهم وتلك الصيغة هي وزن « فعو » اي بفتح الاول وتشديد الثاني المضموم وفي الاخر واو ساكنة . فيفرغون جميع الاعلام في ذلك القالب فيقولون في محمد وعلي وحسن (او حسين) وسعيد وجميل ويوسف وعبدالله : حمو وعلو وحسو وسعو وجو واسو (لا يسو) وعبو الى غيرها . فاذا سمعت بلفظة مفرغة في تلك الصيغة فاعلم ان اصله من الموصل أو من تلك الارجاء وليس من ربوع اخرى . فاحفظه .

٦ — كتبهم الدينية

عندهم الزبور على ما هي موجودة في ايدي النصارى : وعندهم كتب دينية خاصة بهم . لا تشبه كتب اصحاب سائر الاديان ولا يمكن ان يتوصل اليها احد مهما بذل من الاموال لشرائها .

٧ — عددهم ومواطن وجودهم

يدعون ان عددهم يبلغ ثلاثة ملايين . ولا جرم ان هذا العدد مبالغ فيه كل المبالغة ولعل عددهم الحقيقي لا يجاوز العشرين الفا .

ففي كركوك نحو ٦٠ بيتا وهم في محلة الحاي .

(١) المراد بلسان العصافير لسان كلماته مثل كلمات اللغة التي يتكلم بها اهل البلاد التي يكونون فيها . لكنهم يفحمون بين هجاء وهجاء (اي مقطع ومقطع) حرفا يكررونه على التوالي في جميع الاهجية وفي جميع الكلمات حتى ان السامع لا يمكنه ان يهتدي الى الكلمات الحقيقية لعدم انسه بها .

وفي انحاء دقوقا (طاووق) نحو ٥٤٠ بيتا . اي انك تجد منهم في (عرب كوي) و (زنقير) و (علي سراي) و (طوپو زاوه) .

ومنهم من هم في جوار قرى دزدبي Dizdyyi. على نهر الزاب نحو ٤٨٠ بيتا .

وفي خانقين واطرافها نحو ٥٦٠ بيتا .

وما بقي منهم مبثوثون في السليمانية وما جاورها من القرى والدساكر . ومنهم شيء قليل في بغداد . ويقولون انهم كثيرون في خارج بلاد العراق اي في الاستانة وايران وروسية والهند والصين الى غيرها من البلاد النائية .

٨ — نسب كبيرهم في الدين

يزعم كبيرهم الديني ان نسبه يتصل بمنصور الحلاج ويسمونه (منصور بردار) ومعنى بردار : على الخشبة . لانه صلب عليها . وكان يقول : « انا الحق » فلما سمعه بعضهم كفروه وحكموا عليه بالصلب . ويقول هذا الرئيس ان الحلاج المذكور كان الرئيس الاكبر لطائفتنا في عهده وهو الذي كان موزع « القمة » . وكان صلبه في ٢٤ ذي القعدة سنة ٣٠٩ هـ (اي ٢٦ اذار ٩٢٢م) فيكون قد مضى على رئيسهم الاكبر اكثر من الف سنة وتزعم الكاكائية ان نصف سكان بغداد كانوا على مذهبهم (كذا) إلا ان تشديد غيرهم عليهم ممن لم يكونوا على معتقدهم دفع كثيرين الى انكار دياناتهم ومالوا الى المذاهب او الاديان الاخرى فاختاروا النصرانية على كل دين سواه .

واليوم اكبر شعراء كركوك بالتركية والفارسية معا هو دده محمود هجري افندي وهو يدير جريدة كركوك الحالية ورئيس تحريرها . ويلقب بدده لان (دده) كلمة فارسية معناها الجد وبعضهم يقول بابا ويلقب به كل كبير في الدين ويرى تحت امره سائر الزعماء فهو مثل شيخ الاسلام عند المسلمين وكالبابا عند النصارى . ويعرف عند الغير « بموزع القمة » .

٩ — رأينا في اصلهم ومعتقدهم

في انحاء الموصل وكركوك وسنجار وما يجاورها فرق دينية مختلفة لا تكاد تجدها في بلاد اخرى . حتى ان مذاهب المسلمين المبثوثين في تلك الاصقاع

تختلف مذاهبهم ومعتقداتهم عن اصحاب تلك النحل في سائر الديار وهذا الاختلاف يعود الى طبيعة البلاد فانها جبلية وقد تناوب عليها اصحاب الاديان القديمة والعناصر المتباينة. وقد ابقى كل عنصر وكل معتقد وكل مذهب شيئا من بقاياه. فان قلت ان الامة الفلانية أو الفرقة الفلانية أو النحلة الفلانية هي كردية أو فارسية أو سريانية أو عربية أخطأت كل الخطأ. وكذا القول في المذاهب فانها كلها غريبة. وفي كل من اولئك الاقوام وكل مذهب من تلك المذاهب وفي لسان كل من تلك الاجيال بقايا قد اختلط بعضها ببعض حتى انه ليستحيل على كل عاقل الوصول الى قرار الحقيقة والذي يحاول البلوغ اليه يطلب المحال.

ففي عنصر الكاكائية ترى سحنات مختلفة تتردد بين سحنة الكردي والتركي والفارسي والعربي والارمني والارمني. وكذلك قل عن لغتهم ففيها الفاظ من جميع هذه اللغات المتضاربة الاصول البعيدة المنازع في لغات اخرى. واما المذهب أو الدين أو النحلة أو ما تريد ان تسميه من الاسماء فانه مجتمع معتقدات قديمة وحديثة لا صلة تصل بعضها ببعض ولا جامعة تجمع بعضها الى بعض فترى فيها شيئا من المزدكية وبعض النصرانية وفيها من اليهودية وجزءا من الاسلامية. وان كانوا يقولون لاظهر بشيء منها. وعندهم طائفة من آراء الفرق السرية كما عندهم رموز يتعارفون بها والفاظ لا يبوحون بها الى غير اخوانهم وحيثما عرفوا ان بين الاتراك الجند اخوانا ماصونا (أو فرماسونا) حاولوا الانخراط في سلكهم، لكن لم يتيسر لهم ذلك لان الحرب حالت دون تحقيق امنيتهم.

ثم ان لفظة كاكائي ليست اسم قبيلة أو امة أو قوم أو بلد. انما هي لفظة كردية فارسية الاصل معناها: الاخ. فقالوا في واحدها العائد الى هذه الجمعية السرية كاكايا على الطريقة الارمنية ومنهم من يلفظها كاكايي مفردا وجمعا. فانظر كيف جمعوا في لفظة واحدة الفارسية والارمنية وهم يريدون بذلك «الاخ في المذهب» أو كما يقول الفرنسيون Confrère. فيكون معنى كاكائية Société secrète. أو Confraternité Secrète

١٠ — انباؤنا

هذه الانباء أو المعلومات — كما يقول بعضهم — اخذناها في اول الامر

من سعو بن جو — لكننا ارتبنا في صحتها . لاننا قلنا : لعله يفيدنا بهذه الكلمات بلوغا الى غاية نجهلها الان ، ولا تتضح لنا إلا في ما بعد. ثم قلنا: لعله يوهمنا ليحملنا على اعتقاد اشياء لا حقيقة لها في ذاتها . ولهذا اخذنا نبحث عن رجل آخر يفيدنا عن حقيقة ما سمعناه . فمضى على تلك المدونات نحو اربع سنوات واتفق اننا عرفنا كاكائيا آخر فكلمناه فزاد شيئا عليها ، لكنه لم يذكر علينا واحدة منها وان لم نكن نذكر له شيئا مما كنا سمعناه . بل كنا نلقي عليه اسئلة فكان يجاوبنا عليها وكنا ندونها امامه بلا خوف ، لانه كان اديبا فاضلا .

ثم عرفنا ثالثا كان جاء الى بغداد ليبيع شققا من البسط . وكان قد سمع باننا في حاجة الى عدد منها فجاء بها الينا فسألناه عن وطنه واصله ولغته ومذهبه فقال انه « كاكائي » فقلنا له : وما تريد بذلك ؟ الى آخر الاسئلة . فكانت اجوبته تقوي ما كنا قد نقلناه عن اخويه . والرجل حي يرزق وهو الان في جهة سليمانية .

١١ — الخلاصة

الكاكائية فرقة دينية منتشرة في انحاء كركوك منذ قديم العهد ، ولها اسرار غامضة لا يبوح اصحابها بها الى غير اخواتهم ، ولهم الفاظ خاصة بهم يتعارفون بها . وكان آباؤها سابقا من عناصر مختلفة: اما اليوم فأجل عنصر فيها هو الكردي.

وسميت بهذا الاسم لان (كاكا) بالفارسية هو الاخ الاكبر . وللاخ الاكبر عند الشرقيين اعتبار خاص في الاسرة يتميز به عن سائر اخوته الاصغرين وذلك لان الاب كان يبوح لابنه البكر فقط باسراره الخاصة به وبالاسرة فكان الولد الاكبر مستودع الاسرار ، والغنى ، والشرف ، والمجد ، والقوة ، والسؤدد ، وهو ما يرى الى اليوم في تلك الارجاء .

وكان الاب بعد ابنه في حياته لهذه الغاية ومسألة انتقال امور المملكة الى البكر غير مجهولة في ديار الغرب نفسها . بل كان البكر في حياة ابيه ينوب هو عنه في غيابه دون سواه . وابناء الشرق يحافظون على عاداتهم الموروثة عن آبائهم الاقدمين الى عهدنا هذا وان كان هذا الامر لا يرى في جميع هذه الديار بصورة واحدة .